الدرس الحادي والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ ما جاء في لمز أهل طاعة الله والاستهزاء بضَعَفتهم

١٤٦ – عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاعٍ فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا ؛ فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٧٩] .

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ ما جاء في لمزِ أهل الطَّاعةِ والاستهزاء بضَعَفَتهم**» ؛ هذا الّذي ذكره رحمه الله تعالى في هذه التَّرجمة هو وصفٌ من أوصافِ أهل النِّفاق الَّذين يُضمرون في بطونهم كفرًا وصدودًا وإعراضًا عن دين الله، ويتظاهرون بالإيمان، فإنَّ من أوصافِ هؤلاء المنافقين المشهورةِ عنهم: همزهم ولمزهم وسخريتهم واستهزاؤهم بأهل الإيمان والطَّاعة، حتى إنَّهم لم يسلم من همزهم ولمزهم أهل الصَّدقات. ومعلومٌ أنَّ أهلَ الصَّدقات في أيِّ مجتمع لهم محبَّة ولهم مكانة؛ لأنَّ نفوسهم سخت بهذا المال الّذي تميل النَّفس إليه ولا تحبُّ التَّفريط فيه، فلم يسلَم من همز المنافقين ولمزهم حتى هؤلاء الذين هم أهل الصَّدقات وأهل النَّفقة والبذل في سبيل الله تبارك وتعالى.

والأصل: أن يُحسَنَ الظَّنُّ في كلِّ مَن يعمل الخير، وأن يُحْمَل عمله على أحسن مَحْمَل. أمَّا أن تتَّجه همَّةَ الإنسان إلى الوقيعة في أهل الخير وأهل البذل وأهل السَّخاء والعطاء، وأن يتَّجه إلى الطَّعن فيهم والانتقاص منهم والازدراء لهم، واتِّهامهم حتى في نيَّاتهم، أنَّه لم يفعل ذلك إلاّ رياءً، أو لم يفعل ذلك إلاّ شُهرةً، أو لم يفعل ذلك إلاّ لكذا ولكذا من أمورٍ هي تتعلَّق بالقلوب ولا يطَّلع عليها إلاّ علاّمُ الغيوب سبحانه وتعالى؛ فهذا كلُّه من الأوصاف الَّتي هي من شُعَبِ النِّفاق وليست من شعب الإيمان، من خصال أهل النِّفاق وليست من خصال أهل الإيمان . ولهذا عقد رحمه الله تعالى هذه التَّرجمة؛ تحذيرًا من ذلك قال: «**بابٌ ما جاء في لمزِ أهل طاعةِ اللَّه والاستهزاءِ بِضَعَفَتِهم**» .

قال: **عن أبي مسعودٍ** وهو البدري رضي الله عنه الأنصاري **قال:** «**لمَّا نزلت آية الصَّدقة كنَّا نحامِل على ظهورنا**»؛ انظر هذا العلوُّ في الهمَّة لدى أصحاب النَّبيِّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وفرقٌ بين هؤلاء وبين مَن

بيده المال ويُحَثّ على الصَّدقة فلا يُخْرِج منه لا قليلٍ ولا كثير. فالصَّحابة رضي الله عنهم لما نزلت آية الصَّدقة كان بعضهم لا يملك شيئًا، فمن أجل أن يعمل بهذه الآية ذهب إلى السُّوق ويحامل على ظهره، أي يشتغل حمَّالاً يحمل المتاع للنَّاس من أجل أن يحصل على قليل من المال أو قليل من الطَّعام من أجل أن يتصدَّق به فيكون من أهل هذه الآية آية الصَّدقة. فانظر الفرق بين هؤلاء الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، ومَن بيده الأموال الطَّائلة وتُذْكَر له آيات الصَّدقة وأحاديث الصَّدقة ولا يستطيع أن يُخْرِج قليلاً من هذا الكثير الّذي أعطاه الله سبحانه وتعالى إيَّاه.

قال: «**كنَّا نُحامِل على ظهورِنا فجاء رجلٌ فتصدَّق بشيْءٍ كثير**» ؛ جاء رجل: أي ممَّن آتاه الله سبحانه وتعالى مالاً ؛ فتصدَّق بشيْءٍ كثير: أي أموال كثيرة.

«**فقالوا: مُراءٍ**»؛ هذا ما أخرج هذا المال الكثير إلاّ للرِّياء ؛ حتى يُقال كذا، وحتى يُقال كذا. ومعلوم أنَّ كلمة «مرائي» هذا دخول في النِّيَّة، ونيَّة العبد بينه وبين الله، وليس للنَّاس إلاّ الظّاهر، والله تبارك وتعالى يتولَّى السَّرائر ويتولَّى القلوب، ولا يجوز للإنسان أن يحكم على نيَّة أحد، النيَّة بينه وبين الله، لكن الحكم إنَّما هو على الظّاهر، أمَّا سرائر النَّاس وبواطنهم فبينهم وبين الله سبحانه وتعالى. ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلاَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ)). لنا ظاهر النَّاس، أمَّا سرائرهم بينهم وبين الله سبحانه وتعالى. «فقالوا: مُراءٍ» هذا المكْثِر المنفق لمزوه بالرِّياء.

«**وجاء رجل فتصدَّق بصاع**» ما عنده شيء، وربَّما يكون هذا الصَّاع حصَّله من أين؟ من قولهم –كما تقدَّم– «كنّا نحامل على ظهورنا»، ربّما ذهب إلى السُّوق وحمل على ظهره متاعًا لأحد وأعطاه صاعًا من طعام، وجاء وتصدَّق به.

«**فجاء رجلٌ فتصدَّق بصاع. فقالوا: إنَّ اللَّه لغنيٌّ عن هذا**» أي: غني عن صدقة هذا. الله غني عن صدقة هذا، وصدقة الأوَّل، وصدقة النَّاس أجمعين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ، في الحديث القدسي يقول الله عزّ وجلّ: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)) ، وهو جلّ وعلا النّافع الضَّارّ المعطي المانع، الغنيّ عن العباد وعن طاعاتهم وعن صدقاتهم وعن نفقاتهم. مَن اهتدى وأنفق وتصدَّق وبذل فإنَّما يكون ذلك لنفسه ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]

«**فقالوا: إنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عن هذا**» إذًا لم يسلم منهم لا مُكْثِرٌ في الصَّدقات ولا مُقِلّ ؛ المكْثِر قالوا: مُرائي، والمقِلّ قالوا: الله غني عن صدقته، ماذا يكون هذا الصَّاع الّذي جاء به؟ فيلمزون المطوّعين بالصَّدقات، أي إنَّه حتى أهل

الصَّدقات لم يسلموا منهم. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التَّوبة: ٧٩].

﴿يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي أنَّهم من كثرة همزهم ولمزهم حتى المطَّوِّعين في الصَّدقات لم يسلموا منهم. ولهذا قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وهذا أيضًا من صفات المنافقين، لا يسلم أحدٌ من عيْبهم ولمزهم على جميع الأحوال، حتى ولا المتصدِّقون يسلمون منهم»، وقوله: "حتى ولا المتصدِّقون يسلمون منهم" لأنَّه عادةً المتصدِّق الّذي يبذل له مكانة في مجتمعه؛ لأنَّ المال الّذي تميل إليه القلوب –ولهذا سُمِّيَ مالاً– ولا تُفَرِّط فيه، وتشُحُّ به أخرجه وبذله، فحتى هؤلاء لم يسلموا من همزهم ولمزهم. مَن كان مُكْثِرًا لمزوه بالرِّياء، ومَن كان مُقِلاً قالوا ماذا تفيد؟ أو ماذا تكون هذه الصَّدقة؟ والله عزّ وجلّ غنيٌّ عن صدقةِ هذا. فالشَّاهد أنَّ هذا من صفات أهل النِّفاق.

هذا –أيُّها الإخوةُ الكرام– نأخذ منه فائدة مهمَّة ، فائدة عمليَّة: أنَّ الواجبَ على العبد أن يتَّقي الله سبحانه وتعالى في كلِّ مَن يقدِّم خيرًا للأُمَّة، يقدِّم نفعًا للأُمَّة، من مثلاً صدقات أو بذل أو أعمال خيريَّة أو أوقاف أو أو .. إلى غير ذلك من مجالات الخير الكثيرة. فمَن يبذل خيرًا الأصل أن يُحسَن به الظَّنّ، ليس الأصل أن يُساء به الظَّنّ، ليس الأصل أن تُكال له التُّهَم، أو أن يُفَتَّش، أو أن يُدْخَل في نيَّته. بعض النَّاس ما أن يرى أعمالاً خيريَّة يقدِّمها شخصٌ ما إلاّ قال: نعم هذا يريد الرِّياء ويريد الشُّهرة ويريد كذا ويريد ... ويبدأ يكيل من التُّهَم الشَّيْء الكثير. الأصل: أن يُحْسِن الإنسان الظَّنّ فيمَن يُقَدِّم أعمال خيريَّة للأُمَّة من مثلاً أوقاف، أو صدقات، أو دور للأيْتام، أو مثلاً طباعة لكتب العلم، أو غير ذلك من مجالات الخير الكثيرة والكثيرة، فالأصل أنَّ مَن يُقَدِّم لأمة الإسلام نفعًا وخيرًا من الأعمال الصّالحة الَّتي هي على الهدي وعلى السُّنَّة الأصل أن يُحْسَن به الظَّنّ. أمَّا إذا كان الظّاهر على خلاف الهدي وعلى خلاف السُّنَّة، فإنَّ أخطاءه ومخالفاته للسُّنَّة تُنْتَقَد وتُصَحَّح وتُقَوَّم ويُرْشَد إلى الحقِّ والهدى. أمَّا مَن يعمل الخير ويقَدِّم الخير ويبذل الخير الأصل: أن يُحْسَن به الظَّنّ، وألّا يتكلَّف الإنسان أو يتجرَّأ على كيْل التُّهم جُزافًا بدون أي مستند أو أي برهان، حتى أيضًا دخولاً في القلوب والنِّيَّات.

وعرفنا أنَّ هذا اللَّمز للمطّوِّعين بِالصَّدقات عدَّه الله سبحانه وتعالى في أوصاف المنافقين؛ لأنَّ هذه الآية الكريمة جاءت في سورة التَّوبة ، وسورة التَّوبة تُعْرَفُ بـ«الفاضحة» و «المبعْثِرة»؛ لأنَّها فضحت المنافقين، وهتكت سترهم، وكشفت مخازيَهم، وعرَّت مساوئهم، فضحتهم فضحًا. ولهذا تجد في السُّورة كثيرًا ما يأتي: ﴿ومنهم﴾ ﴿ومنهم﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ أوصاف للمنافقين كشفتهم وعرَّتهم وأظهرت مخازيَهم بحيث أصبحت بادية. والله سبحانه وتعالى ذكر هذه الأوصاف لأهل النِّفاق من أجل أن يحذر منها أهل الإيمان وألاّ يتَّصفوا بشيء منها لا في قليل ولا في كثير.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ الاستهزاء

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ(٢٩) وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٠] ، **وقوله:** ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١١٠] ، **وقوله:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ **الآية** [الحجرات: ١١] .

****

قال: «**بابٌ الاستهزاء**» ؛ والاستهزاء : هو السُّخرية بالآخرين والانتقاص لهم والتَّهكُّم بهم. ولا يكون هذا الاستهزاء إلاّ عن مرض في قلب المستهزئ، وعُجب بنفسه، وتعالي على الآخرين، ولهذا يهزأ بالآخرين ويسخر ويستهزئ، ويتهكَّم.

قال: «**بابٌ الاستهزاء**» وذكر رحمه الله هذا الباب بابًا عامًّا؛ ليكون متناولاً الاستهزاء بالأشخاص سواء في هيئاتهم ومشيهم وحركاتهم وصفاتهم، أو الاستهزاء بهم أيضًا في أخلاقهم ودينهم وعبادتهم.

قال: **وقول الله سبحانه وتعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] ؛ وهذا استهزاءٌ بأهل الدِّين، وهو وصفٌ لأهل الإجرام. انتبه لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ مفهوم الجريمة متأخِّرًا لدى كثير من النَّاس انحصر في أبواب معيَّنة من الجرائم، وعندما يُقال المجرم لا ينصرف الذِّهن إلاّ لأشياء معيَّنة من الجرائم كالقتل مثلاً أو السَّرِقة أو أشياء من هذا القَبيل، لكن الاستهزاء بأهل الإيمان هذه جريمة من الجرائم العظيمة.

قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ(٢٩) وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ(٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣١] سخرية واستهزاء وتهكُّم بأهل الإيمان ، يتهكَّمون بهم ويسخرون لإيمانهم، لدينهم، لمحافظتهم على طاعة ربِّهم ؛ لتحلِّيهم بأخلاق الإيمان وآداب الدِّين. فمن صفات أهل الإجرام السُّخرية والاستهزاء بأهل الإيمان.

قال: **وقول الله تعالى:** ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١١٠] ؛ ﴿اتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ : أي أهل الإيمان؛ منهم تسخرون، وبهم تستهزؤون وتضحكون وتتهكَّمون، فكانت عقوبة

هؤلاء أن أصبح أهل الإيمان في ذلك اليوم يوم لقاء الله سبحانه وتعالى هم الفائزون، وهؤلاء ليس لهم إلاّ النَّار؛ لسخريتهم بأهل الإيمان، وصدودهم عن دين الله تبارك وتعالى، ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠-١١١] يعني جزاء أهل الإيمان على صبرهم هو الفوز، وهؤلاء عقوبتهم النَّكال والخسران.

قال: **وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الحجرات: ١١] ؛ وهذه الآية في سورة الحجرات، وسورة الحجرات اشتملت على جملة عظيمة من الآداب، آداب الشَّريعة وأخلاقِها العظيمة، وفيها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ثمّ ذكر بعد ذلك مقتضيات هذه الأُخُوَّة، ومنها قوله: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ ؛ لأنَّ من مقتضى الأُخوَّة الإيمانيَّة ألّا يسخر مؤمنٌ من مؤمن، ولا يستهزئ مؤمنٌ بمؤمن، هذا من مقتضيات هذه الأُخوَّة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

١٤٧ – عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن المستهزئين بالناس يُفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال له: هلم هلم! فيجيء بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال له: هلم هلم! فيجيء بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه، فما يزال كذلك، حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له: هلم! فما يأتيه من اليأس)) أخرجه البيهقي.

****

وأوْرَد رحمه الله تعالى في ذمّ الاستهزاء هذا الحديث عن الحسن قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، والحسن رحمه الله تابعي فإذا قال التَّابعي: «قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم» فيكون الحديث مُرْسَل، والحديث المرْسَل –كما هو معلوم– من أقسام الضَّعيف.

قال: عن الحسن قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**إنَّ المستهزئين بالنَّاس يُفْتَحُ لأحدهم في الآخرة بابٌ من الجنَّة، فيُقال له: هلمَّ هلمّ**)) أي: تعال وأقبِل .

((**فيجيء بكربه وغمِّه**)) لأنَّه يومٌ يشتدّ فيه الكرب، ويعظُم فيه الغمّ .

((**فإذا جاءه أُغْلِقَ دونه، ثمّ يُفْتَح له بابٌ آخر فيُقال له: هلمّ هلمّ! فيجيء بكربه وغمِّه، فإذا جاءه أُغْلِقَ دونه، فما يزال كذلك حتى إنَّ أحدهم لَيُفْتَحُ له الباب من أبواب الجنَّة فيُقال: له هلمّ فما يأتيه من اليأس**)) يعني من كثرة ما يحصل له هذا الأمر. وهذه عقوبة على استهزائه وسخريته، فهذه الأبواب فيها هؤلاء الذين كان بهم يستهزئ ومنهم يسخر، فيُقال له: هلمّ، يفتح الباب، وإذا جاء أُغلق دونه، ويُفتَح له آخر ويُغْلَق له دونه، وهكذا.

قال رحمه الله تعالى :

١٤٨ – ولابن أبي حاتم وغيره عن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: ((من مات همازًا لمازا ملقبًا للناس كان علامته أن يسِمه الله على الخرطوم من كلا الشدقين)).

****

قال: «**ولابن أبي حاتم**» أي: في تفسيره. «**وغيره عن ابن عمرو**» أي: عبد الله بن عمرو بن العاص «**مرفوعًا**» أي: إلى النَّبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام. وسند هذا الحديث فيه مقال.

قال: ((**مَن مات همَّازًا لَمَّازًا مُلَقِّبًا للنَّاس**)) ؛ قوله «مَن مات» فيه أنَّ مَن تاب من ذلك قبل أن يموت تاب الله عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ قلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] أي: توبوا إلى الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ أيًّا كان الذَّنب فإنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى يغفره لمن تاب.

قال: ((**مَن مات همَّازًا لَمَّازًا**)) أي: يقع في النَّاس همزًا ولمزًا، طعنًا ووقيعة، سبًّا وشتمًا، استهزاءً وسخرية .

((**مُلَقِّبًا للنَّاس**)) أي: بالألقاب السيِّئة، ألقاب السُّوء.

((**كان علامته أن يَسِمَهُ اللَّهُ على الْخُرْطُومِ مِنْ كِلا الشِّدْقَيْنِ**)) ؛ قيل «على الخرطوم» : أي على أنفه من كلا الجهتين، سِمَةً له علامةً؛ أي ليكون ذلك خزيًا له وفضيحة بين الأشهاد وعلى رؤوس الخلائق يوم القيامة.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ ترويع المسلم

١٤٩ – عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يحل لمسلم أن يروّع أخاه)) رواه أبو داود.

****

قال: «**بابٌ ترويعُ المسلم**» ؛ ترويع المسلم: أي إخافته وإدخال الخوف على قلبه بأيِّ طريقةٍ كانت، هذا لا يحلّ ولا يجوز، بل الواجب أن تكون المعاملة مع المسلم المعاملة الرَّفيقة الَّتي ليس فيها إرعاب له ولا إخافة، حتى لو كان ذلك من باب الدُّعابة والمزح. يعني بعض النَّاس مزحه مع رُفقائه –كما يُعَبَّر عنه– ثقيل جدًّا، ولا يبالي بما يحصل لأخيه من ضرر، حتى إنَّ بعض النَّاس بسبب مزحه – أقول ذلك بدون مبالغة عن أشياء بلغتني– بعض النَّاس من سوئه في المزح وشدَّته في المزح تسبَّب في أمراض نفسيَّة مستمرَّة في قلب بعض إخوانه، وألحق ببعض إخوانه ضررًا نفسيًّا مستمرًّا بسبب المزح الذي هو فيه شيء من الإخافة أو شيء من الإفزاع والإرعاب، وهذا لا يحلّ للمسلم أن يُرْعِبَ أخاه، أو أن يخوِّف أخاه.

قال: عن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى قال: ((**حدَّثنا أصحاب رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: أنَّهم كانوا يسيرون مع النَّبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فنام رجلٌ منهم، فقام بعضهم إلى حبلٍ معه**)) ؛ انتبه إلى «نام» ،كثير من حوادث الإرعاب والإخافة يُسْتَغَلّ فيها نوم الشَّخص أو أوَّل ما يستيقظ من النَّوم، وبعضهم يقول: نداعبه ونمزح معه، فيُفزعه وهو نائم، أو يفزعه لحظةَ قومته من النَّوم، وكثيرًا ما يحصل مثل ذلك في مثل نوم الإنسان أو يقظته من النَّوم.

قال: ((**فنام رجلٌ منهم فقام بعضهم إلى حبلٍ معه فأخذه ففزع**)) ؛حبلٍ معه: أي جرَّه ، فقام الرَّجل فَزِعًا.

قال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: ((**إنَّه لا يحِلّ لمسلم أن يُرَوِّعَ أخاه**)) إذا كان حبل جرَّه فقام فَزِعًا، وقال النَّبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ما قال، فكيف مثلاً بمَن يُصدِر أصوات عالية عند النَّائم، أو أصواتًا مخيفة ومرعبة عند النَّائم!! فكيف إذًا بمَن يحمل سلاحًا ويُرْعِب به أخاه!! ثمّ إذا دخله الرُّعب والخوف وانهارت نفسه قال: أنا أمزح معه، ربَّما أنَّ نفسه تُصاب بشيء من الأمراض النَّفسيَّة تبقى مزمنة مستمرَّة بسبب هذا المزح. فالإسلام جاء بضبط أخلاق المسلم، وألاّ يجني على إخوانه بأي جناية، ولا يحلّ لمسلم أن يروّع أخاه المسلم بأي طريقة كانت.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ المتشبّع بما لم يعط

١٥٠ – ولهما عن أسماء رضي الله عنها: أن امرأة قالت: «يا رسول الله إن لي ضرة فهل علي جناح إن تشبَّعت من زوجي بما لم يعطني؟» فقال: ((المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور)).

****

قال: «**بابٌ المتشبّع بما لم يُعْطَ**»؛ أي: يُظهِر لنفسه ويدَّعي لنفسه من الصِّفات والأخلاق والأوصاف والأمور ما ليس فيه؛ تزيينًا لنفسه وإظهارًا لنفسه أو تمييزًا لنفسه عن الآخرين؛ فيدَّعي لنفسه أمورًا ليست فيه، أنَّه فعل، وأنَّه فعل، وأنَّه متَّصف بكذا، وأنَّ عنده كذا من أمورٍ ليست فيه؛ ليُظْهِرَ نفسه على الآخرين، يُقال: «مُتَشَبّعٌ بما لم يُعْطَ»؛ متشبّع أي: من الأوصاف والخصال والخلال ، بما لم يُعْطَ أي: بما ليس من صفاته ولا من خلاله.

قال: **ولهما** أي: البخاري ومسلم **عن أسماء** أي: بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوجة الزُّبَيْر بن العوَّام رضي الله عنه

((**أنَّ امرأةً قالت: يا رسولَ الله إنَّ لي ضَرَّة**)) والضَّرَّة: هي الزَّوجة على الزَّوجة. ويُقال لها أيضًا «عَلَّة»، ((الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ))، يُقال لها عَلَّة لأنَّ العَلَّ: هو الشُّرب والنَّهل. فإذا أخذ زوجةً على زوجته فيُقال لها: عَلَّة، وإن كان بعض الزّوجات يكسرْن العين يقولون: عِلَّة. فالزّوجة على الزّوجة يُقال لها: ضَرَّة، ويُقال لها ذلك: لأنَّها زاحمت الزّوجة الأولى في شيءٍ من حظِّها من الزّوج، مع أنَّ هذه المزاحمة لو فكَّرت المرأة فيها مصلحة لها ومصلحة للزَّوجة الثانية ومصلحة للمجتمع المسلم، ولا سيَّما إذا كان عدد النِّساء أكثر من الرِّجال، إن بقي أكثر نساء المجتمع بدون أزواج حصل فساد وشرّ عظيم، ففيه صلاح لها. وعدَّد أهل العلم جملة من المنافع الَّتي تُحَصِّلُها الزّوجة الأولى بوجود الثّانية، وفيه منفعة للزوجة الثّانية، وفيه منفعة للمجتمع.

فتقول: «**إنَّ لي ضَرَّة فهل عليَّ جناح إن تشبَّعت من زوجي بما لم يعطِني؟**» من باب المنافسة بسبب الغيْرة بين الزّوجات تقول: «هل عليَّ جناح» هل عليَّ إثم أو خطأ إن تشبَّعت من زوجي بما لم يُعْطِنِي؟ يعني: إذا جلست مع ضَرَّتي –الزّوجة الأخرى– وقلت لها: إنَّ لي في قلبه محبَّة عظيمة، ويعطيني كذا، ودائمًا يمدحني بكذا ويصفني بكذا، بأشياء ليست موجودة، من باب المنافسة والغيْرة الَّتي بين الزّوجات . تقول: «إنَّ لي ضَرَّة، فهل عليَّ جناحٌ إن تشبَّعْتُ من زوجي بما لم يُعْطني؟»

فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: ((**المتشبّعُ بما لم يُعْطَ كلابس ثوبيْ زور**)) ؛ وثوب الزُّور على ظاهره ؛ يلبس إنسانًا ثوبًا ليس له، يتظاهر به أنَّه مثلاً من الأثرياء أو من الأغنياء أو من ذوي الأموال وهو ليس له، وإنَّما يلبسه زورًا للتَّظاهر به أمام النَّاس، ثمّ عن قريبٍ يُسْحَب منه ويأخذه أهله، فهذا يُسمَّى ثوب زور، يتظاهر به صاحبه وليس

من أهله وليس من زينته ولا من لباسه، ولكنَّه يأخذه وقتًا محدَّدًا ليتظاهر به .((كلابس ثوبيْ زور)) أي: متظاهرًا به، فكذلك مَن يتظاهر بأمور ليست من أوصافه هو شبيهٌ بمَن كان لابسًا ثوبيْ زور.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ التحدث بالمعصية

١٥١ – ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً بالليل، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه، وأصبح يكشف ستر الله عليه)).

****

قال: «**بابٌ التَّحدُّث بالمعصية**» ؛ التَّحدُّث بالمعصية: هو المجاهرة بالإثم والخطيئة ؛ أن يبيت الإنسان وقد ستره اللَّه سبحانه وتعالى بذنبه ثمّ يهتك ستر اللَّه إذا أصبح، فإذا لقي النَّاس يقول لهم: البارحة فعلتُ كيت وفعلت كيت وفعلت كيت من الآثام والمعاصي الَّتي ارتكبها ، سواءً أعلن ذلك في محيط رفقائه، أو إعلانًا عامًّا غير مُبالٍ، فهذا يُسمَّى مُجاهِر. والمجاهر من أبعد النَّاس عن التَّوبة، وأقرب النَّاس إلى عقوبة اللَّه سبحانه وتعالى، واللَّه عزّ وجلَّ يقول: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾[النِّساء: ١٤٨]، فالمجاهرة خطيئة عظيمة وجُرْمٌ فوق الجُرْم الأوَّل الّذي هو الذَّنب. الذَّنب: قد يكون الإنسان غلبته نفسه فارتكب ذنبًا، أمَّا المجاهر ليس الأمر مجرَّد ارتكاب ذنب ووقوع في خطيئة، وإنَّما افتخار بالذَّنب وإبراز للذَّنب وإظهار له بين النَّاس، وهذا إنَّما يكون عن مُراغمة ومُعاندة لشرع اللَّه سبحانه وتعالى وافتيات على شرع اللَّه سبحانه وتعالى، لا يكون ذلك إلاّ من معاند فيه مُراغمة للشَّرع ومعاندة لشرع اللَّه سبحانه وتعالى.

قال: «**ولهما**» أي: البخاري ومسلم. عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا ((**كُلُّ أُمَّتي مُعَافى إلاّ المُجاهرين**)) ؛ كُلُّ أُمَّتي مُعافى: أي قريب من العافية والتَّوبة والمغفرة والنَّدم والرُّجوع إلى اللَّه سبحانه وتعالى، إلاّ المجاهرين؛ المجاهر بعيد عن التَّوبة، بعيد عن رحمة اللَّه سبحانه وتعالى؛ لأنَّ المجاهرة استعلان بالذَّنب ، والاستعلان بالذَّنب إنَّما يكون عن تمرُّد على الشَّرع، ومعاندة لدين اللَّه سبحانه وتعالى ، ومَن كان كذلك يكون من أبعد ما يكون عن التَّوبة. بخلاف المذنب الَّذي ارتكب ذنبًا وقلبه متألِّم من الذَّنب، غلبته نفسه الأمَّارة بالسُّوء ووقع في الذَّنب، ومستخفي ما يريد أن يطَّلع عليه أحد مستحي وفي قلبه ألم من هذا الذَّنب، هذا قريب من التَّوبة. لكن الشَّخص الذي يقع في الذَّنب ويستعلن به ويشهره ويذكره ويتحدَّث به للنَّاس هذا بعيد ؛ لأنَّه لم يقتَصِر الأمر على الذَّنب، وإنَّما هو ذنبٌ ومعاندة واستعلان بالذَّنب والخطيئة. ويجتمع فيمَن كان كذلك:

أوَّلا: أنَّه هتك ستر اللَّه عليه؛ وقع في الذنب وستره اللَّه فقام عندما أصبح وهتك ستر اللَّه عليه.

الأمر الثّاني: أنَّه بهذا الهتك لستر الله يُهَيّج المعصية ويحرِّكها في النَّاس ويشيعها في المجتمع، فإذا حدَّث مَن هم ضِعاف الإيمان أو في إيمانهم ضعف بأنَّه صنع وصنع وفعل ؛ تكون هذه دِعاية للباطل وتحريك للباطل وتهييج النُّفوس الضَّعيفة لفعل الباطل، إضافةً إلى الجرم الذي ارتكبه أو الذَّنب الّذي وقع فيه.

قال: ((**وإنَّ من المجاهرة**)) «مِن» للتّبعيض أي أنَّ المجاهرة لها صور، من صورها:

((**أن يعمل الرَّجل عملاً باللَّيل عملاً**)) أي: ذنبًا خطيئةً ((**ثمّ يصبح، وقد ستره الله**)) أي: لم يطَّلع أحد من النَّاس على ذنبه ((**فيقول: يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، وأصبح يكشف ستر الله عليه**)) فهذا من المجاهرة بالمعصية. والأصل في العبد أن يُجاهد نفسه ألاّ تقع في الذَّنب، إن غلبته نفسه ووقع في الذَّنب يستتر بستر الله، ويسأل الله أن يغفر له وأن يتوب عليه، أمّا أن يصل إلى هذا الحدّ وهو الاستعلان بالذَّنب والمجاهرة به فهذا جُرْم خطير وذنبٌ وخيم، وأهله من أبعد النَّاس عن المعافاة كما قال نبيُّنا عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((كُلُّ أُمَّتي مُعافى إلاّ المجاهرين)) .

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ ما جاء في الشتم بالزنا

١٥٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: ((من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة ، إلا أن يكون كما قال)) .

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ ما جاء في الشَّتم بالزِّنا**» ؛ الشَّتم بالزِّنا أي: الاتِّهام به والوصف به.

«**ما جاء في الشَّتم بالزِّنا**» ؛ والشَّتم بالزِّنا نوع من الشَّتم، يعني بعض النَّاس عندما يغضب من آخر يشتمه بهذا، إمَّا يقول له: يا الفاعل لكذا، أو يا ابن الفاعل لكذا، أو نحو ذلك.. فهذا يسمَّى شتم بالزِّنا.

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((**مَن قذف مملوكه بالزِّنا يُقام عليه الحدّ يوم القيامة، إلاّ أن يكون كما قال**)) أي إلاّ أن يكون المملوك كما قال سيِّده فإنَّه لا يُقام عليه الحدّ لأنَّه رماه بما هو وصفٌ له وبما يعلم أنَّه وصفٌ له وهو وصفٌ له فلا يُقام عليه، لكن في الدُّنيا لا يُقام الحدّ على الحُرّ بالعبد برميه، وإنَّما يُقام يوم القيامة كما في هذا الحديث ؛ قال: ((يُقام يوم القيامة عليه الحدّ)) لماذا؟ لأنَّ يوم القيامة ليس هناك أحرار وعبيد، يوم القيامة يستوي النَّاس في ذلك، فيُقام عليه الحدّ يوم القيامة، وهذا ممَّا يقوّي قول أهل العلم في أنَّ الحرّ لا يُقام عليه الحدّ بالعبد، فإنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال هنا: ((**مَن قذف مملوكه بالزِّنا يُقام عليه الحدّ يوم القيامة، إلاّ أن يكون كما قال**)) أي: إلاّ أن يكون فعلاً قد وقع في الأمر الّذي رماه به.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ النهي عن تسمية الفاسق سيّدًا

١٥٣ – عن بريدة رضي الله عنه مرفوعًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدًا فقد أسخطتم ربكم)) رواه أبو داود بسند صحيح.

****

قال: «**بابٌ النَّهي عن تسمية الفاسق سيِّدًا**»؛ أي مَن عُرِف بالفسق وعُرِفَ بالفجور، عُرِف بالإجرام، عُرِفَ بالسُّوء لا يُقال له سيِّد؛ لأنَّ هذا اللَّقب يعني التَّقدِمة؛ لأنَّ السيِّد: هو المقَدَّم الّذي له التقدمة وله المكانة على غيره، فيُقال له سيِّد. والسِّيادة الَّتي تُطْلَق على الإنسان سيادة نسبيَّة، لكن هذه السِّيادة النِّسبيَّة لا يجوز أن تُطْلَق على فاجر أو على فاسق.

قال: **عن بُرَيْدةَ مرفوعًا قال: قال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: ((لا تقولوا للمنافق سيِّد))** أي أنَّ هذه السِّيادة النِّسبيَّة لا تُطْلَق على المنافق ، لا تُطْلَق على الفاجر إذا عُرِفَ بفجور، حتى وإن كان مقصود الإنسان معنى معيَّن بالسِّيادة، ولو كان معنىً محدود يقصده ؛ لا يُطْلَق هذا اللَّقب على المنافق.

قال: **((لا تقولوا للمنافق سيِّد، فإنَّه إن يكُ سيِّدًا فقد أسخطتم ربَّكم))** ؛ إن يكُ سيِّدًا بجعلكم إيَّاه سيِّدًا واعتباركم إيَّاه سيِّدًا مع وصفه الذي هو النِّفاق والفجور والآثام فإنَّكم تكونون بذلك أسخطتم أي: أغضبتم ربَّكم سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.